

سِلسلة شُروح وتطريزات فضيلة الشيخ





شرح مِفتاح السَّعادتين

في تفسير الفاتحة والإخلاص والمعوذتين

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور

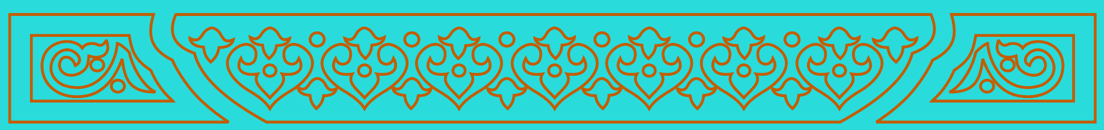
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي

عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى





سلسلة شروح وتطريزات فضيلة الشيخ (٧١)

شرح
مفتاح السعادتين
في تفسير الفاتحة والإخلاص والمعوذتين

منقول من الشرح الصوتي لمعالي الشيخ الدكتور
صالح بن عبد الله بن حمد العصيمي
عضو هيئة كبار العلماء والمدرس بالحرمين الشريفين
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى



للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛

يُرجىٰ المراسلة علىٰ البريد التالي: Abdellahdj24@gmail.com



الحمد لله الَّذي نفع برؤُوس العلم جماعةَ المسلمينْ، وأوْرَثَهُم بِها نورَ الإيمانِ وبَرْدَ اليقينْ، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ محمَّدٍ عبْدِه ورسوله خاتَم النَّبيِّين، وعلىٰ آله وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فَهذَا شَرْح (**الكتاب الثّاني**) مِنْ برنَامجِ (**رؤوس العلم**) فِي (**سنتِهِ الأولى**)؛ سبعٍ وثلاثينَ وأربعمائةٍ وألفٍ وثَمانٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ، وهو كتابُ «**مفتاح السّعادتين في تفسير الفاتحة والإخلاص والمُعوِّذتين**»، لمُصنِّفه صالحِ بنِ عبد اللهِ بنِ حمدٍ العصيميِّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله محمَّدٍ خاتم النَّبيِّين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فهذا «مفتاح السَّعادتين في تفسير الفاتحة والإخلاص والمُعوِّذتين»؛ لأنَّهنَّ مِن أَوْجَزِ القرآن مبنىٰ وأجلِّه معنىٰ، مع ظُهورِ فضلِها وعِظَمِ قَدْرِها.

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

ابتدأ المصنِّف - وفَّقه الله - كتابَهُ بالبسْملةِ، ثُمَّ أَرْدَفَهَا الحمدلةَ، ثمَّ ثلَّثَ بالصَّلاةِ والسَّلامِ علىٰ عبد الله ورسوله محمَّدٍ خاتم النَّبيِّين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وهؤلاء الثَّلاث مِن آداب التَّصنيف اتِّفاقًا، فمَن صنَّف كتابا استُحِبَّ له أن يستفتحه بِهنَّ.

ثمَّ ذكر أنَّ هذه النُّبذة الَّتي بأيديكم هي («مفتاح السَّعادتين في تفسير الفاتحة والإخلاص والمُعوِّذتين»)، **وهذه الجُملة تشتمل علىٰ أمرين:**

أحدهما: بيِّنٌ ظاهِرٌ، وهو الإعلام باسم الكتاب، وأنَّه مُشتملٌ علىٰ تفسير السُّور الأربع المذكورة.

والآخر: لطيفٌ خفيٌّ، وهو الإعلامُ بأنَّ معرفةَ هؤلاء السُّوَرِ خاصَّةً، والقرآن عامَّةً من

الأبوابِ الَّتي تُؤدِّي للسَّعادتين، و(السَّعادتان) إذا أُطلق ذكرهما فالمراد بِهما: سعادة الدُّنيا والآخرة.

ومن امتلأ قلبُه بالقرآن فهمًا، وعِلمًا، وعملًا، وقبولًا، وانقيادًا؛ دلَّهُ القرآنُ إلىٰ الجنَّة فكان إمامَه وقائِدَه إليها - جعلنا الله وإيَّاكم مِن أهلها.

ثمَّ ذكر المُصَنِّف **مُوجِب اقتصَارِه علىٰ السُّور الأربع**، وهو فِي قوله: (لأنَّهنَّ مِن أَوْجَزِ القرآن مبنىٰ وأجلِّه معنىٰ، مع ظُهورِ فضلِها وعِظَمِ قَدْرِها)، **فالسُّور المذكوراتُ موصوفاتٌ بأربعِ صفاتٍ:**

فالصِّفة الأولىٰ: وَجازة مبانِيها؛ أي قِلَّة حُروفها، فهي معدودةٌ مِن السُّوَرِ القِصَار.

والصِّفة الثَّانية: جلالة معانيها، فالمعانِي المقرَّرة فِي السُّور الأربع مِن أصول الإسلامِ وقواعده العِظام.

والصِّفة الثَّالثة: أنَّ هذه السُّور ظاهرةُ الفضلِ؛ لِمَا رُوِي عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن الأحاديث في فضلها، وهيَ أكثر سُوَرِ القرآن الَّتي صحَّ فيها فضائلُ.

والصِّفة الرَّابعة: عِظَمُ قَدْرِها، فهي مرفوعةُ المقام، عاليةُ الرُّتبةِ؛ لما تقدَّم مِن الصِّفات الثَّلاث المذكورةِ قبلُ، فمجموع تلك الصِّفات كلُّهُ مستكَنٌّ فِي عَظَمة قَدْرِها، فإنَّ وجازةَ مبانيها، وجلالة معانيها، وعِظَمَ فضلِها؛ تؤدِّي إلىٰ إعلاء قدْرِهَا ورفع رُتْبَتِها.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفسيرُ
سورة الفاتحةِ

عَنْ أَبِي سَعِيدِ ابْنِ المُعَلَّىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ:** ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّكَ قُلْتَ: «لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ مِنَ القُرْآنِ»، قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ①﴾، **هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». رواهُ البُخارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ①﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ②﴾، **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ③﴾، **قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي -، فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ④﴾، **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ⑤ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ⑥ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ⑦﴾، **قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». رواهُ مسلمٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٤ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٦ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أَقْرَأُ القرآنَ؛ فمَقْصُودُ المُبسملِ في فَاتِحةِ القِراءةِ هُوَ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ أقرأُ.

والاسمُ الأحسنُ (اللهُ) عَلَمٌ علىٰ ربِّنَا عَزَّوَجَلَّ، ومعناهُ: المَألوهُ المُستَحِقُّ لإفرادِهِ بالعبَادَةِ.

و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: اسمانِ من أسمائِهِ تَعَالَىٰ دَالَّانِ علَىٰ رَحمتِه؛ فأوَّلُهمَا دالٌّ عليهَا حَالَ تعلُّقِهَا بهِ فِي سَعَتِهَا، والآخرُ دَالٌّ عليهَا حالَ تعلُّقِها بالخَلقِ في وُصولِهَا إليهِمْ.

وأوَّلُ هٰذهِ السُّورَة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾؛ فَالحمدُ هوَ الإخبارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ معَ حُبِّه وتعظيمِهِ، و﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: اسْمٌ إضَافِيٌّ، فَالرَّبُّ فِي كَلَامِ العَربِ: المَالِك والسَّيِّدُ والمُصلِحُ للشَّيءِ، والعَالَمينَ جمعُ عَالَمٍ، وهوَ اسمٌ للأفرادِ المتجانسةِ منَ المخلُوقَاتِ، فكلُّ جِنسٍ منهَا يُطلَقُ عَلَيهِ عَالَمٌ، فيُقالُ: عَالَمُ الإنسِ، وعَالَمُ الجِنِّ، وعَالَمُ المَلَائِكَةِ.

وَرُبُوبيَّتُهُ عَزَّوَجَلَّ لَمْ تُنتِجْ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا العِنَايَةُ بالخَلقِ ورَحمتُهُمْ، وَلِهٰذَا وَصَفَ نفسَهُ بقَولِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، فَهوَ رَحْمٰنٌ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ جَميعَ الخَلقِ، رَحيمٌ يُوصِلُ رَحمَتَهُ إلَيهِمْ.

ثُمَّ أكَّدَ رُبُوبِيَّتَهُ بقولِه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾، وهُوَ يومُ الحِسَابِ والجَزَاءِ علَىٰ

الأعــمَالِ الَّــذِي قــال اللهُ تعــالَىٰ فيــهِ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطـار]، وهُــوَ يــومُ القِيامَةِ، وَخَصَّهُ بالذِّكْرِ لأنَّهُ يَظْهَرُ فيهِ للخلقِ كَمَالُ مُلكِ اللهِ تَمَامَ الظُّهورِ؛ لانقطَاعِ أمْلَاكِ الخَلَائِقِ؛ وَإلَّا فهُوَ مَالكُ يومِ الدِّينِ وغيرِهِ منَ الأيَّامِ.

وقولُهُ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴿٤﴾﴾؛ أي نَخُصُّكَ وَحدَكَ بالعبادَة، ونَسْتَعِينُ بِكَ وَحدَكَ في جَميعِ أُمُورِنَا، وعبَادةُ اللهِ: تألُّهُ القَلبِ لَهُ بالحُبِّ والخُضُوعِ، والمَأمُورُ بهِ فيهَا امتثَالُ خطَابِ الشَّرعِ، والاسْتعَانةُ بـهِ هي طَلَبُ العبدِ العونَ مِنْهُ فِي الوُصولِ إلَىٰ المَقْصودِ.

ثُمَّ قالَ تَعالَىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٥﴾﴾؛ أي دُلَّنَا وأرشِدْنَا إليهِ، وثَبِّتْنَا عَلَيهِ حَتَّىٰ نَلقَاكَ وهُوالإسْلَامُ، ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴿٦﴾ ﴾ المُتَّبِعِينَ للإسلامِ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، ﴿غَيۡرِ﴾ صراط ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ الَّذينَ عَرَفُوا الحَقَّ وَلَمْ يَعمَلُوا به، وَهمُ اليهودُ، ومَنْ عدَلَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عَن عِلمٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ، ﴿وَلَا﴾ صـراطَ ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾ الَّـذينَ تَرَكُـوا الحَـقَّ عَـنْ جهـلٍ فَلَـمْ يَهتَـدُوا وضَـلُّوا الطَّريقَ، وهُمُ النَّصَارَىٰ، ومَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عنْ جَهْلٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ.



قَالَ الشَّارِحُ وفقه الله:

ذكرَ المُصَنِّفُ - وَفَّقهُ الله - فِي هذهِ الجُملَةِ (**تَفسيرَ سُورةِ الفَاتحةِ**).

وابتَدَأَ تفسيرَ السُّورَةِ بذكرِ فَضْلِهَا؛ لأنَّ تَقديمَ فَضْلِ الشَّيءِ عليه يَحمِلُ النُّفوسَ عَلَىٰ التَّشَوُّفِ إلَيهِ والرَّغبة فيه.

وَذَكَرَ حَديثينِ فِي فَضلِهَا:

فَالحَدِيثُ الأَوَّلُ: حَدِيثُ (أَبِي سَعِيدٍ ابْنِ المُعَلَّىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)؛ أَنَّهُ (قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَدَعَانِي النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ...) الحديث. (رواهُ البُخارِيُّ).

ودِلالَتُهُ علَىٰ فَضلِ «سورة الفَاتِحةِ» مِنْ وجوهٍ ثَلَاثةٍ:

* **أَوَّلُهَا**: فِي قَولِهِ: (**«أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»**)، ثُمَّ قَالَ: (« ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ [الفاتحة]»)؛ فَـ«سُورةُ الفَاتِحةِ» هيَ أَعظمُ سُورِ القرآنِ.

* **والوجه الثَّاني**: فِي قَولِهِ: (**«هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي»**)؛ فَمِنْ فَضلِ «الفَاتِحةِ» اتِّصَافُهَا بِكَونِهَا «السَّبع المَثَانِي».

وهذه الصِّفةُ تجمع أمرين:

أحدهما: أَنَّها سبعُ آياتٍ، ولم يختلفِ العادُّون فِي هذا، فهم مُجْمِعون علىٰ سَبعِيَّتِها، وإنِ اختلفُوا فِي مَقَاطِعِ وفَوَاصِل الآيات منها.

والآخر: أَنَّها مَثَانٍ؛ فسورة الفاتحة موصوفةٌ بكونِها من المثانِي، **وهذا الوصف له معنيان:**

- **أَحدُهُمَا: أَنَّها تكون مثانِيَ فِي مبانيها**؛ بِرَدِّ بعضِها بعدَ بعضٍ، فإنَّها تُقرأ مُتتابعةً، وتُثنَّىٰ كُلُّ آيةٍ علىٰ ما قبلها، فلا يكمُلُ اسمُ الفاتحةِ إلَّا بالآياتِ السَّبع؛ لإلحاق

بعضِ آياتِها ببعضٍ.

فلو قُدِّر أنَّ أحدًا قرأ السُّورةَ ولم يقرأْ قولَه تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾؛ فإنَّه لم يقرأْ سورة الفاتحة، ولا وقعتْ تثنيةُ مبانِيها كامِلَةً.

- **والآخَرُ: أنَّها تكون مثانِيَ فِي معانيها**؛ لِمَا فيها مِن رَدٍّ أنواعٍ من المعانِي بعضها علىٰ بعضٍ.

فقولُه تعالَىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقولُه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ من صفات الجلالِ الإلهيِّ.

وقولُه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مِن صِفَاتِ الجمالِ الإلهيِّ.

و(**الجَلال**) و(**الجمال**): اسمان واقعان فِي الخبَر عن صفات الله، يُراد منه: أنَّ الجلالَ يُحْدِث عظمةً وهيبةً، والجمالَ: يُحْدِث لُطْفًا ورحمةً.

وفيها أيضًا: أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جمع بين الحقِّ والفضلِ، فهي مِن أوَّلِها إلىٰ قولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فِي بيان حقِّ الله، ومِن قولِه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلىٰ تمامِها فِي بيان فضل الله.

* **والوجه الثَّالث**: فِي قَولِهِ: («**وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**»)، وهو تأكيدٌ لأعظميَّتِها المذكورةِ فِي صدر الحديث، فإنَّ معنىٰ قوله: («**وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»)؛ أي المقروءُ العظيم الَّذي أُوتِيَه النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

والحَديثُ الثَّاني: حَدِيثُ (أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ)؛ أنَّهُ (قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَقُولُ: « **قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي**... ») الحَديثَ.

(رواه مسلمٌ).

وهو حديث إلهيٌّ؛ لِروَايتِه عن الله، ويُقَال فيه أيضًا: حديث ربَّانِيٌّ أو قُدْسِيٌّ.

وَدِلالَتُهُ علَىٰ فَضلِ «سورة الفَاتِحةِ» مِنْ وَجهَين:

* **أَحدُهُمَا**: فِي قوله تعالىٰ: («**قَسَمْتُ الصَّلاَةَ**»)، بتَسْمِيَةِ «الفَاتِحةِ» صَلَاةً؛ إعطاءً لجزئِها اسمَها أجمعَ، فالصَّلاة كلُّها رُدَّتْ إلىٰ «الفَاتِحةِ»، فيُقَال عن «الفَاتِحةِ»: (صلاةٌ) تعظيمًا لمقامِها في الصَّلاة، ففي «الصَّحيحين» من حديث عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**».

* **والآخرُ**: في قَولِهِ: («**بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ**»)، فمِن فضل الفاتحةِ: أنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ جعلَها نِصْفين: فنِصفٌ له، ونصفٌ لعبده، فأمَّا النِّصف الأوَّل: فمِن مُبتدئِها إلىٰ قولِه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وأمَّا النِّصف الثَّاني فمِن قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلىٰ تمام السُّورةِ.

ثمَّ شَرَعَ المُصنِّفُ يُفسِّرُ مَعانِي «الفَاتِحةِ»؛ فقَالَ: (﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ﴾ أَقْرَأُ القرآنَ؛ فمَقْصُودُ المُبسمِلِ في فَاتِحةِ القِراءةِ هُوَ بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيمِ أقرأُ)؛ أَي أشرعُ فِي القِرَاءَةِ مُتَلبِّسًا بذكر اسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم.

ثمَّ ذكَرَ المُصنِّفُ أنَّ (الاسْمَ الأحْسَنَ (اللهُ) عَلَمٌ علىٰ ربِّنَا عَزَّوَجَلَّ)؛ فلَا يُسَمَّىٰ بِهِ غيرُهُ.

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ (اللهِ)، فقالَ: (ومعناهُ: المَألوهُ المُستَحِقُّ لإفرادِهِ بالعبَادَةِ)؛ أَي مَنْ تَألَهُهُ القلوبُ حُبًّا وخضوعً. فهي تتوجَّه إليه مُعظِّمةً بالحُبِّ والخُضوع، فيكون مَأْلُوهًا لها، أي مُتَوَجَّهًا إليه بالتَّأْليه.

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ (﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾)، فقالَ: (اسْمَانِ من أسمائِهِ تعالَىٰ دَالَّانِ علَىٰ رحمتِهِ...) إلَىٰ آخرِ مَا ذكَرَ.

فـ(الرَّحمنُ) و(الرَّحيم) يشتَركان في كونِهما اسمين لله دالَّيْن علىٰ صفة (الرَّحمة)، ويفترِقان فِي صفة دِلالَتِهما عليها.

- فَاسمُ (الرَّحمٰنِ) يَدُلُّ (عليهَا حَالَ تعلُّقِهَا بِهِ) - أَي بذَاتِهِ - (فِي سَعَتِهَا)، فهو ذو الرَّحمة الواسعة.
- وَاسمُ (الرَّحيمِ) يَدُلُّ (عَلَيهَا حَالَ تعلُّقِها بالخَلقِ فِي وُصُولِهَا إليهِمْ)، فهو ذو الرَّحمة الوَاصِلة.

قالَ اللهُ فِي الأوَّلِ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه].

وَقَالَ فِي الثَّاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝١٤٣﴾ [البقرة].

وهٰذَا أَحسنُ مَا قيلَ فِي الفَرقِ بَيْنَهُمَا، واختاره ابن القيِّم فِي«بدائعِ الفوائدِ»، وأَشَرْتُ إليهِ بقَولِي:

وَرَحْمَةٌ للهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ   بِذَاتِهِ فَالِاسْمُ رَحْمٰنٌ ثَبَتْ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمْ   فَسَمِّهِ الرَّحِيمَ فَازَ مَنْ سَلِمْ

ثمَّ ذَكَرَ أَنَّ (أوَّلَ هٰذهِ السُّورَة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١﴾)، وَهُوَ مَصِيرٌ مِنهُ إِلَىٰ مُخَالَفَةِ العَدِّ المَشْهورِ فِي قراءَتنا وهي رواية حَفْصٍ عن عاصمٍ، فالمُثْبَت فِي المصاحف الَّتي بأيدينا هو المُوافق للعدِّ الكوفِيِّ الَّذي تُجعل فيه ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الآيةَ الأولَىٰ مِن «سورةِ الفَاتِحةِ».

ووفق ما ذكره المُصَنِّف فيكون مُبتدأُ الفاتحةِ هو قولُه تعالَىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١﴾؛ لحديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المتقدِّم، فإنَّ الله قالَ فيه: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ

﴿١﴾»، فابتدأها الله بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١﴾، فأوَّلُ آيةٍ فِي «سورة الفاتحة» - فِي أصحِّ القولين - هي قولُه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١﴾.

وتَتِمُّ علىٰ هذا القول الثَّانِي عِدَّة الفاتحةِ سبعًا بقسمةِ الآية السَّابعة فِي عَدِّ الكوفيِّين آيتين، فتكون الآيةُ السَّادسَةُ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ٦﴾، ثُمَّ تَكُونُ الآية السَّابعةُ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾.

فالعادُّون مُجْمِعُونَ علىٰ كون الفاتحة سَبْعَ آياتٍ، وَهذا بنصِّ القرآن، ومُختَلِفُون فِي صفةِ العدِّ، **والمختارُ مِن القولين فيها**: أنَّ مُبتدأَها هُوَ قولُهُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١﴾، فهي الآية الأولَى، لا قولُه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ويترَتَّب علىٰ هذا أنَّ الفاتحةَ المأمورَ بقراءتِها فِي الصَّلاة أمْرَ إيجابٍ أوِ استحبابٍ أو تفريقٍ بين الجهر والسِّرِّ تكون من ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ وَفْقَ العد الكوفِيِّ، وأمَّا وَفْقَ العَدِّ المدنِيِّ الأوَّل والثَّانِي وغيرِه مِن أنواعِ العَدِّ فيكون مبدَؤُها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

ثُمَّ بيَّنَ مَعْنَىٰ (**الحمدِ**)، فَقَالَ: (هوَ الإخْبَارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ معَ حُبِّه وتعظِيمِهِ)؛ **فَمَدَارُ الحمْدِ علَىٰ أمرَين:**

- **أَحدُهَمَا**: الإخبَارُ عنْ مَحَاسِنِ المَحمُودِ، وهي وُجُوه كمَالِه.
- **والآخرُ**: اقتِرَانُ الإخبَارِ بالحُبِّ والتَّعظِيم.

ثمَّ بَيَّنَ أنَّ قولَهُ: (﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: اسمٌ إضَافِيٌّ)؛ **فَالأسْماءُ الإلهيَّةُ بِاعتبارِ الإفرادِ والإضَافةِ نَوعانِ:**

- **أَحدُهما**: **أَسْماءٌ إلهيَّةٌ مُفرَدَةٌ**؛ مثلُ: الله، والرَّحمٰن، والرَّحيم.

- **والآخَرُ: أَسْماءٌ إلهيَّةٌ مُضَافَةٌ**؛ مثلُ: ربِّ العالمينَ، وَمالكِ يوم الدِّين، وعالِم الغيبِ، وعالِم الشَّهادةِ.

وأشار إلىٰ النَّوع الثَّاني - وهو الأسماء الإضافيَّة - جماعةٌ؛ منهم: قَوَّامُ السُّنَّة الأصبهانِيُّ في كتاب «الحُجَّة» وابن تيميَّةَ فِي «الفتاوىٰ المِصْريَّة»، وشيخُنا ابنُ بازٍ فِي بعضِ أجوبته.

ونقل الثَّانِي إجماعَ المسلمين علىٰ جواز دعاء الله بِها.

ثمَّ ذَكَرَ أنَّ (الرَّبَّ في كَلَامِ العربِ: المالكُ، والسيِّدُ، والمُصلحُ للشَّيءِ)؛ فَمَدَارُهُ عَلَىٰ هٰذهِ المَعَانِي الثَّلَاثةِ؛ ذَكَرَهُ ابنُ الأنْبارِيِّ وغيْرُهُ.

فما وقع فِي كلام جماعةٍ مِن أهل التَّفسير واللُّغَة مِن الزِّيادة عليها فإنَّه يُؤَوَّل إلىٰ واحدٍ منها، فقد بلَّغها أحمدُ بنُ أحمدَ السُّجاعِيُّ الأزهريُّ ثلاثينَ معنًىٰ فِي منظومة لطيفةٍ له، مَن تأمَّلها وَجَد أنَّ المعانِي السَّبعة والعشرين الزَّائدة علىٰ الثَّلاثة ترجع إليها.

ثمَّ ذَكَرَ أنَّ (العَالَمينَ جَمْعُ عَالَمٍ، وهوَ اسمٌ للأَفرادِ المُتُجَانِسةِ منَ المخلُوقَاتِ) - أي الأفرادُ المشتركةُ فِي جنسٍ واحدٍ -، (فَكُلُّ جِنسٍ منهَا يُطلَقُ عَلَيهِ عَالَمٌ، فيُقالُ: عَالَمُ الإنسِ، وعَالَمُ الجِنِّ، وعَالَمُ المَلَائِكَةِ).

فاسْمُ (العالَمِ) فِي كلام العرب يتعلَّق به شيئان:

- **أحدهما**: كونُ الموصوفِ بِهِ مخلوقًا، فكُلُّ عالَمٍ مَخْلُوقٌ.
- **والآخر**: كونُ تلكِ المخلوقاتِ تجتمِع في جنسٍ واحدٍ، فبينَها صلةٌ فِي أصلٍ جامعٍ.

وإذَا لمْ تَنْتَظِمِ المخلوقات فِي أصلٍ جامعٍ لمْ تُسَمَّ (عَالَمًا)، فليسَ كُلُّ مخلوقاتِ الله عَوَالِمُ، فإنَّ **مخلوقات الله نوعان:**

- **أَحدُهمَا: مَخلُوقاتٌ أَفْرَادٌ**، لا ثانِي لها؛ كَالعَرْشِ والكُرْسِيِّ الإلهيَّين، فإنَّ النَّاس كافَّةً مِن أهل الإسلام مُطْبِقُون علىٰ أنَّ العرشَ الإلهيَّ وكرسيَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ واحدٌ.
- **والآخرُ: مخلوقاتٌ عوالِمُ**، وهي المخلوقاتُ المشترَكة فِي جنسٍ واحدٍ؛ كالَّتي سمَّيْنا.

ثَمَّ بيَّن المصنِّف أنَّ رُبُوبِيَّةَ اللهِ (لَمْ تُنتِجْ ظُلْمًا؛ بَلْ مَضْمُونُهَا العِنَايَةُ بالخَلقِ ورَحمَتُهُمْ، وَلِهٰذَا وَصَفَ نفسَهُ بقولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾، فَهوَ رَحْمٰنٌ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ جَمِيعَ الخَلقِ، رَحيمٌ يُوصِلُ رَحمَتَهُ إلَيهِمْ)؛ فإنَّ اللهَ لَمَّا ذَكَرَ في صَدْرِ السُّورةِ عُمُومَ رُبوبيَّتِه الخلقَ فِي قَولِهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١﴾ - وهي مُتضَمِّنَةٌ كَمالَ قُدرَتِهِ عليهم، وتَمَامَ مُلكِهِ -؛ أَرْدَفَهَا بقولِهِ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾؛ للإعلامِ بأنَّ رُبوبيَّته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ لم تُنْتِج ظُلمًا، بل حقيقتُها: العنايةُ بالخلقِ ورَحمَتُهم واللُّطفُ بِهم.

ثمَّ قال: (ثمَّ أَكَّدَ رُبُوبِيَّتَهُ بقولِه: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٣﴾، وهُوَ يومُ الحِسَابِ والجَزَاءِ علَىٰ الأعمَالِ)، وتَفسيرُهُ في قولِهِ تعالَىٰ: (﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار]، وهُوَ يومُ القيامَةِ).

والدِّينُ مُركَّبٌ مِنْ أمرينِ:

- **أحدُهُمَا**: الحِسَابُ، وَهُوَ مُقدِّمتُهُ.
- **والآخرُ**: الجزاءُ، وَهُوَ خَاتِمتُهُ.

فالنَّاس يُحاسَبُونَ ثمَّ يُجْزَونَ علىٰ أعمالِهم.

ثُمَّ ذَكَرَ المُصَنِّفُ أنَّ اللهَ خَصَّ يَومَ القيامةِ (بِالذِّكرِ لأنَّهُ يَظهرُ فيهِ للخلقِ كمالُ مُلكِ

اللهِ تَمامَ الظُّهورِ)؛ فالدُّنيَا دارُ ادِّعاءِ الأملاكِ، فالنَّاس يدَّعون لهم أملاكًا، وأمَّا فِي الآخِرَةِ فلا أحدَ يدَّعي مِلكَ شيءٍ؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر]، فذكر الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنَّ الخلقَ قاطبةً يَتَجرَّدُون مِن أملاكِهم فلا يَنْبِس أحدٌ ببِنْتِ شَفَةٍ فِي الآخِرَةِ أنَّه يملك شيئًا.

والله مالكُ الأيَّام جميعًا، إلَّا أنَّ الخلق فِي الدُّنيا ينَازِعُون في دعوىٰ الأملاك، وأمَّا فِي الآخِرَة فقد تبيَّن الأمرُ لكلِّ ذي عينينِ أو ألقىٰ السَّمْعَ وله قلبٌ شهيدٌ.

ثمَّ بيَّنَ معنَىٰ قولِهِ تعالَىٰ: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾﴾)، فقالَ: (أي نَخُصُّكَ وحدَكَ بالعبادَة، ونستعينُ بكَ وحدَكَ في جميعِ أُمُورِنَا)، وإفرَادُهُ سُبحانهُ بالعبادة والاستعانة مُسْتَفَادٌ مِن تقديمِ الضَّميرِ المُنْفَصِل، فأصل الكلام: (نَعْبُدُ اللهَ ونستعينُ به)، ثمَّ لمَّا قُدِّم مَّا حَقُّه التَّأخيرُ فقيل: (﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾﴾)، كان المرادُ: إفادةُ حصْرِ العبادة والاستعانة به سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وهو الَّذي أشار المُصَنِّف بقوله: (نَخُصُّكَ وحدَكَ بالعبادَة، ونستعينُ بكَ وحدَكَ في جميعِ أُمُورِنَا)، وهذا الاختصاصُ هو الَّذي يُسمِّيه علماءُ البلاغةِ بـ(الحصر) أو بـ(القصرِ).

ثُمَّ بيَّنَ المُصنِّفُ **مَعنَىٰ العبَادَة**، فقَالَ: (وعبادةُ اللهِ: تألُّهُ القلبِ لَهُ بالحبِّ والخُضُوعِ)، فتَوَجُّهُ القلْبِ إلَىٰ اللهِ مَحبَّةً وخُضُوعًا يُسمَّىٰ (عبادةً).

(والمَأمورُ به) الَّذي تَصْدُق به دعوىٰ العبادةِ: أن تكونَ وفْق (خِطَابِ الشَّرع)،

فحقيقةُ (عبادة الله) شرعًا هي امتثالُ خطابِ الشَّرعِ المقترنُ بالحبِّ والخُضُوعِ، وهذا هو المعنىٰ العامُّ للعبادةِ، **فإنَّ (عبادة الله) ذاتُ معنَيَيْن شرعًا:**

- **أحدهمَا: المَعنىٰ العامُّ**؛ وهُوَ امتثالُ خطابِ الشَّرعِ المُقترنُ بالحبِّ والخُضوعِ.

- **والآخرُ: المَعنىٰ الخاصُّ**؛ وهُو التَّوحيدُ، فَإِذَا أُطلقَ اسْمُ (العبَادةِ) فِي الشَّرعِ فالمُرَادُ بِهِ التَّوحيدُ؛ ومنه قول ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «كلُّ ما أُمِر به فِي القرآنِ من العبادة فهوَ التَّوحيدُ»؛ ذَكَرَهُ البغويُّ فِي «تفسيرهِ».

فمثلًا: قولُه تعالَىٰ فِي صدر القرآن - وهو أوَّل أمرٍ فِي المصحف -: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾[البقرة: ٢١]؛ أي وحِّدُوه، وثبتَ هذا عنِ ابن عبَّاسٍ عند ابنِ جَريرٍ وابْنِ أبي حاتِمٍ فِي تفسيرِ هذه الآية.

ثمَّ ذكَرَ المُصنِّفُ مَعنَىٰ (الاستعانَةِ)، فقَالَ: (والاستعانةُ بهِ هيَ طَلَبُ العبدِ العونَ مِنْهُ فِي الوُصولِ إلَىٰ المَقْصودِ).

ثمَّ بيَّنَ تَفسيرَ قَولِهِ تعالَىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٦ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾، فقالَ: (ثُمَّ قالَ تعالَىٰ: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٥ ﴾؛ أي دُلَّنا وأرشِدْنَا إليه، وثَبِّتْنَا عَلَيه حَتَّىٰ نَلقَاكَ).

فهِدايةُ الصِّراط المستقيم المَسْؤُولَة - أي المطلوبَةُ - مِنَ اللهِ نوعَانِ:

- **إحدَاهُمَا**: هِدايةُ وُصولٍ إلَيه.
- **والأُخرَىٰ**: هِدايةُ ثباتٍ عَلَيه.

فالعبد يسأل ربَّه داعيًا له أن يهديه إلىٰ الصِّراط المستقيمِ بالوصول إليه، ثمَّ يَكُرُّ بالسُّؤال مرَّةً ثانيةً بعد وصوله إليه بأن يُثَبِّتَه الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عليه.

وهذا هو السِّرُّ فِي كون العبد يُكرِّر سؤال الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ الهدايةَ إلىٰ الصِّراط المستقيمِ مع كونِه مهديًّا بالإسلام؛ لأنَّه إذا هُدِيَ بالوصول إلىٰ الصِّراط المستقيمِ فهو مفتقِرٌ أتمَّ الافتقار إلىٰ سؤال الله الثَّبات عليه، فكَمْ ممَّن وصل إلىٰ الصِّراط المستقيم ثمَّ لم يَثْبُت عليه، فالقلوب بينَ أُصْبُعين مِن أصابع اللهِ، ما شاء منها أَقَامَهُ، ومَا شاء منها

أَزَاغَه، نسأل الله أن يثبِّتَنَا وإيَّاكم علىٰ الحقِّ والهدىٰ.

ثمَّ فسَّر (**الصِّراطَ المُستقيمَ**)، فقَالَ: (وهُوالإِسْلَامُ)؛ لِحَديثِ النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا عَنِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ قال فِي حَدِيثٍ طَويلٍ: «**فَالصِّرَاطُ الإِسْلَامُ**». رَوَاهُ أحمدُ وإسنادُهُ حَسنٌ.

ثُمَّ قَالَ فِي قوله تعالىٰ: (﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ٦ ﴾ المُتَّبِعينَ للإسلامِ الَّذي جاءَ بِهِ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ)، وَأُضِيفَ الصِّرَاطُ إِلَيهِمْ لأَنَّهمْ سَالكُوهُ؛ فهُمُ الَّذينَ شَرعُوا فيهِ، وَأقبَلُوا بِقُلوبِهم عليه، فاسْتحقُّوا الإنعامَ مِنَ الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ؛ فإنَّه هو الَّذي رَضِيه لهم وأمرهم باتِّباعه فقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وإِضَافَةُ (الصِّراط) فِي القُرآنِ نوعَانِ:

- **أَحدُهمَا**: إِضَافَتُهُ إِلَىٰ اللهِ؛ كَقولِهِ تعالَىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأنعام:١٥٣]؛ لأنَّه وَاضِعُه الَّذي شرعه.
- **والآخرُ**: إضافتُهُ إِلَىٰ الخلقِ؛ كقولِهِ تعالَىٰ: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ٦ ﴾ [الفاتحة]؛ لأنَّهم سالكوه السَّائِرُون فيه.

ثمَّ قَالَ: (﴿غَيۡرِ﴾ صراط ﴿ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ الَّذينَ عَرفُوا الحَقَّ وَلَمْ يَعمَلُوا به، وَهمُ اليهودُ، ومَنْ عَدَلَ عَنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ من هذهِ الأُمَّةِ عَن عِلمٍ فَفِيهِ شَبهٌ مِنهمْ، ﴿وَلَا﴾ صراطَ ﴿ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ الَّذينَ تَركُوا الحَقَّ عَنْ جهلٍ...) إلىٰ آخرِ كلامِهِ.

فالخَارِجُونَ عَنِ الصِّراطِ المُستقيم نوعَانِ:

- **أحدُهمَا**: العَارفُونَ الحَقَّ التَّاركُونَ العَمَلَ بهِ.
- **وَالآخَرُ**: الجَاهلُونَ الحَقَّ العَاملُونَ بغير عِلمٍ.

وَكُلُّ نوعٍ فيه طَائفَتَان:

فالنَّوعُ الأوَّلُ - وهُمُ العَالِمُونَ الحَقَّ التَّارِكُونَ للعملِ - **فيهِ طَائِفتانِ:**

- ❖ **الطَّائفةُ الأولَىٰ:** طَائِفةٌ أَصْليَّةٌ؛ وهمُ اليهودُ.
- ❖ **والطَّائفةُ الثَّانيةُ:** طائفةٌ تَابِعَةٌ؛ وهُم (مَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عَنْ عِلمٍ).

والنَّوعُ الثَّانِي - وهمُ الجَاهِلُونَ الحَقَّ العَامِلُونَ بغير علمٍ - **فيهِ طَائفتانِ:**

- ❖ **فالطَّائفةُ الأولَىٰ:** طَائفةٌ أَصْليَّةٌ؛ وهمُ النَّصارَىٰ.
- ❖ **والطَّائفةُ الثَّانيةُ:** طَائفةٌ تَابِعَةٌ ؛ وَهُم (مَنْ عَدَلَ عنِ الصِّراطِ المُسْتقيمِ مِن هذهِ الأُمَّةِ عنْ جَهْلٍ).

واسْتحقَّ أهلُ النَّوعِ الأوَّلِ الغَضَبَ؛ فسُمُّوا (المَغضُوبَ عَليهِمْ).

واسْتحقَّ أهلُ النَّوعِ الثَّانِي الضَّلالَ؛ فسُمُّوا (الضَّالِّينَ).

وكُلُّ نوعٍ له قدرٌ مِن وصف النَّوعِ الآخر:

- ✓ فاليَهودُ المَغْضُوب عَليهمْ ومَن كان له بِهم شَبَهٌ مِن هذهِ الأمَّة هم أيضًا ضُلَّالٌ.
- ✓ والنَّصارىٰ الضُّلَّال هم ومَن شابَهَهم مِن هذه الأمَّة هم أيضًا مغضوبٌ عليهم.

لكن جُعِلَ لكلِّ طائفةٍ مَا غلب عليها مِن الوصفِ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللَّهُ:

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الإِخْلَاصِ

عَن أَبِي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ**»، قالُوا: وكيفَ يقرأُ ثُلُثَ القُرآنِ؟ قالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص] **تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**». رواه مسلمٌ.

وعن أُبَيِّ بنِ كعبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ المشرِكِينَ قالُوا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لنَا ربَّكَ؟، فأَنزلَ اللهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]. رواه التِّرمذيُّ وغيرُه، وهو حديثٌ حسنٌ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

لَمَّا كانَ الدِّينُ مبنيًّا علىٰ الإخلَاصِ؛ أَخلصَ اللهُ هذهِ السُّورةَ لنفسِهِ، آمِرًا رَسولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُبلِّغَ عنهُ فقَالَ لهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؛ أي قلْ أيُّها الرَّسولُ مبلِّغًا: إنَّ اللهَ هُوَ الأَحَدُ المُنفرِدُ بالكَمَالِ، المُتفرِّدُ بالأُلوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ، فلا يُشارِكهُ أحدٌ فيهَا.

وأنَّه هوَ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؛ أيِ السَّيِّدُ الكامِلُ المَقصودُ فِي قَضَاءِ الحَوائجِ، فالخَلقُ مُفتقِرُونَ إليهِ، وهُو مُستغْنٍ عنهمْ، ومِن كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾،

فَلَيسَ لهُ وَلدٌ ولَا وَالِدٌ، ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾، فلَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذاتِه، ولَا فِي أَسْمَائِه، ولَا فِي صِفاتِه، ولَا في أَفعالِه، تَبَارَكَ وتَعالَىٰ.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَه اللهُ:

ذكرَ المُصَنِّفُ - وفَّقه الله - في هذهِ الجُملةِ (تَفْسِيرَ سُورَةِ الإِخْلَاصِ).

وابتدأَ تفسيرَهُ بذِكرِ مَا يَتعلَّقُ بِفَضلِهَا؛ لِمَا تقدَّم مِن أنَّ تقديم الفضل يَحْمِل النُّفوس علىٰ التَّشوُّفِ إليه - أي التَّطلُّع إليه - والرَّغبة فيه، ، فذكرَ حَدِيثين:

فالحديثُ الأوَّلُ: (عَن أَبي الدَّرداءِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ...**»). الحديثَ (رواه مسلمٌ).

ودِلالَتُهُ علَىٰ فضلِ «سُورةِ الإخلاصِ»: في قولِهِ: («**تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ**»).

وأَحسنُ ما قِيلَ في بَيَانِ التَّثْليثِ: أَنَّ القرآنَ ثلاثةُ أقسامٍ:

- **فالقسم الأوَّل**: خبَرٌ عن الخالق.
- **والقسم الثَّانِي**: خبَرٌ عن المخلوق.
- **والقسم الثَّالث**: خبرٌ عمَّا يجب علىٰ المخلوق للخالِقِ مِن الأمر والنَّهيِ.

وهذا معنىٰ كونِ أنَّ القرآنَ مُشتملٌ علىٰ التَّوحيد والقَصَصِ والأحكامِ، فالتَّوحيد في القسم الأوَّل، والقَصَص فِي القسم الثَّانِي، والأحكام فِي القسمِ الثَّالثِ.

و«سورة الإخلاص» مُفرَدةٌ فِي القسم الأوَّل، فهي خبَرٌ عن الخالق عَزَّوَجَلَّ لم يُمْزَج بغيرِه، فصارتْ بِهذا الاعتبارِ ثُلثَ القرآن.

والحَـديثُ الثَّـاني: (عـن أُبَـيِّ بـنِ كعـبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ المشـرِكِينَ قـالُوا...) الحـديثَ. (رواه التِّرمذيُّ وغيرُه، وهو حديثٌ حسنٌ).

ودِلالَتُهُ علَىٰ فضلِ «سُورةِ الإخلاصِ»: ما فيه مِن بيانِ اشتمالها علىٰ تَقْرِير وَحدانيَّة الله، الدالَّةِ علىٰ كمالِه، المُبَايِنِ الخلقَ فِي النِّسبة إلىٰ الآباء.

فإنَّ مِمَّا جَرَتْ به عادة الخلقِ أنَّ المرء يَجْذِبُ إليه كمالًا مِن نَسَبِهِ إلىٰ أبٍ مُعظَّمٍ، والله مُستغنٍ لكمالِه عن هذا، وأمَّا عادة العَرَب: فِنصْفُ كَمَالِ الرَّجلِ عِنْدهم أَبُوهُ، فكانوا يَمْدحونه - وإن كان ناقصًا - بالأب، ويذمُّونَه - وإن كان كاملًا - بالأب.

ثُمَّ ذكرَ تفسيرَ هذهِ السُّورةِ، فقالَ: (لَمَّا كانَ الدِّينُ مبنيًّا علىٰ الإخلَاصِ؛ أَخلصَ اللهُ هٰذهِ السُّورةَ لنفسِهِ)، فتخليصُ هذه السُّورةِ لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ تَنْويهٌ بالإخلَاصِ الَّذي أُمِرنا بهِ.

وحقيقة (الإخلاص) شرعًا: تَصفيةُ القلبِ مِن إرادة غيرِ اللهِ، وإليه أشرتُ بقولِي:

إِخْلَاصُـنَا للهِ صَـفُّ القَلْـبِ مِـنْ إِرَادَةٍ سِـوَاهُ فَاحْـذَرْ يَـا فَطِـنْ

ثمَّ قالَ: (آمِرًا رَسولَه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن يُبلِّغَ عنهُ فقَالَ لهُ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾؛ أي قـلْ أيُّهَـا الرَّسـولُ مبلِّغًـا: إنَّ الله هُـوَ الأَحَـدُ المُنفـرِدُ بالكَمَـالِ، المُتفـرِّدُ بالأُلوهيَّـةِ والرُّبوبيَّةِ والأسماءِ والصِّفاتِ، فلا يُشاركهُ أحدٌ فيهَا).

فَأَحَدِيَّتُه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ كائنةٌ فِي رُبوبِيَّته وأُلُوهيَّتِه وأسمائه وصفاته.

ثـمَّ قـالَ: (وأنَّـه هـوَ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾؛ أَي السَّـيِّدُ الكَامِـلُ المَقصـودُ فِـي قَضَـاءِ الحَوائجِ، فالخَلقُ مُفتقِرُونَ إليهِ، وهُو مُستغْنٍ عنهمْ)؛ فَصَمَدِيَّةُ اللهِ تَجمعُ أمرينِ:

- أحدُهمَا: كَمَالُهُ فِي نفسِهِ، فَهُوَ السَّيِّدُ الكَامِلُ.

- **والآخرُ**: افتِقَارُ الخلقِ إليهِ؛ فهُوَ مَقصُودُهُمُ الَّذي يَتوَجَّهونَ إلَيهِ في قَضَاءِ الحَوَائجِ.

ثُمَّ قالَ: (ومِن كَمَالِهِ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾، فَلَيسَ لهُ وَلدٌ ولَا وَالِدٌ، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾، فَلَا يُكَافِئُهُ أَحَدٌ فِي ذاتِه، ولَا فِي أَسْمَائِه، ولَا فِي صِفاتِه، ولَا فِي أَفعالِه، تَبَارَكَ وتَعالَىٰ)؛ لأنَّ حقيقةَ الوَحدانيَّةِ أنْ يكونَ اللهُ واحِدًا فِي ذاتِهِ، واحِدًا في أسمائِهِ، واحِدًا في صفاتِهِ، واحِدًا فِي أفعالِهِ، فلا يكون أحدٌ مكافئًا له عَزَّوَجَلَّ.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ
سُورَةِ الفَلَقِ

عَنْ عُقبةَ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ؛ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [النَّاس]». رواه مسلمٌ.

ومَعنَىٰ «**لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**»: فِي الاسْتعاذةِ بهنَّ.

وكانَ الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوىٰ إلىٰ فراشِهِ كُلَّ ليلةٍ جمعَ كَفَّيهِ ثمَّ نفثَ فِيهمَا بالإخلَاصِ والمُعَوِّذتينِ، ثمَّ يَمسَحُ بِهمَا مَا استطاعَ مِنْ جَسدِهِ: يَبدأُ بِهِمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ ووجهِهِ، وما أَقبلَ مِن جسدِهِ، يَفعلُ ذَلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ. رواه البُخاريُّ.

وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكَىٰ يقرأُ علىٰ نَفْسِهِ بالمُعوِّذاتِ وينفُثُ، ويَمسَحُ بِيَدِهِ، وإذَا مَرِضَ أَحدٌ مِنْ أهلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفقٌ عليهِ.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق].

أمرَ اللهُ الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُورةِ الإخلاصِ أنْ يقولَ مُبلِّغًا، وأمرَهُ في سُورةِ الفلقِ والنَّاسِ أنْ يقولَ مُتعوِّذًا، فقالَ لهُ هنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أيْ ألجأُ وأعتصِمُ؛ ﴿بِرَبِّ

ٱلْفَلَقِ ﴾ وهُوَ الصُّبحُ، ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ اللهُ منَ المخلوقاتِ، وأُرِيدَ بِهِ بعضُهَا، وهوَ كُلُّ مَخلُوقٍ فيه شرٌّ.

ثُمَّ ذكرَ بَعضَ أَفرادِ المَخلُوقاتِ المُشْتَمِلةِ عَلَىٰ شَرٍّ، فقالَ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ وهُوَ اللَّيلُ إذا اسْتحْكَمَ ظَلَامُهُ؛ لِمَا فيهِ من انتِشَارِ الأرْواحِ الشِّرِّيرة، وَالحيوانَاتِ المُؤذيةِ، وعِندَ التِّرمذيِّ بسندٍ حَسَنٍ عنْ عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا؛ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ نظرَ إِلىٰ القمرِ، فقالَ: «**يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَـذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، فَجعلَ القَمرَ عَلامةً لهُ.

﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ وهيَ الأَنْفُسُ السَّواحرُ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ، اللَّواتِي يَسْتَعِنَّ علَىٰ سِحرهنَّ بالنَّفخِ معَ ريقٍ لَطيفةٍ في العُقَدِ المَشدُودَةِ عليهِ.

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وهُوَ مَن يكرهُ وُصولَ النِّعمةِ إلىٰ مَحسُودِهِ، استعاذَ منهُ إذا ثَارَ حَسَدُهُ وبَرَزَ.

وقدْ تَضمَّنتْ هذهِ السُّورةُ الاسْتِعَاذةَ مِنْ أَنْواعِ الشُّرورِ عُمُومًا، ومِن أُصُولهَا خُصُوصًا.

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ذكرَ المُصنِّفُ - وفَّقه الله - في هذهِ الجُملةِ (**تَفْسِيرَ سُورَةِ الفَلَقِ**).

وابتدأَهُ بذكرِ فضلِ هذهِ السُّورةِ، وقرنَهُ بفضلِ تابعتِهَا وهيَ «سورةُ النَّاسِ»؛ لاجتمَاعِهِمَا في اسْمِ «المُعوِّذتينِ».

فذَكَرَ حديثَ (عُقبَةَ بنِ عامرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ)؛ أَنَّهُ (قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَلَمْ**

تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ...»). الحديث (رواه مسلمٌ).

ودِلالةُ الحديثِ علىٰ فَضْلِ «المُعوِّذتينِ»: فِي قولهِ: («لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»).

ثمَّ فسَّرَ هذَا فقالَ: (ومَعنَىٰ «لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ»: فِي الاسْتعاذةِ بهنَّ)، فأكمَلُ ما يستعيذ به المرء إذا خاف شيئًا أن يقرأَ «سورة الفَلَقِ والنَّاسِ».

قَالَ: (وكانَ الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أَوىٰ إلىٰ فراشِهِ) - أي جَاءَ مَوضِعَ نَومِهِ باللَّيلِ - (كُلَّ لَيلةٍ)، فكان يقرأ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سُورة الإخلاصِ» و«المُعوِّذتينِ» فِي نوم اللَّيل، لأنَّ اسم (المأوىٰ فِي الفِراش) عند العرب هو نوم اللَّيل فقط، فالعَرَبُ لم تكن تَتَّخذ لنوم النَّهار فِراشًا؛ لأنَّهم يذهبون فِي حوائجهم ومقاصدهم، فربَّما ناموا في أسواقهم أو ناموا فِي مراعي إِبلِهم أو غير ذلك.

قَالَ: (جَمعَ كفَّيهِ)؛ أي جَعَل إحداهما حِذَاء الأخرىٰ - أي مُوازيةً لها -، فيُسْنِدُ إحداهما بالأخرىٰ، ولا يجعلُها فِي باطنها، فإنَّ هذا يُسمَّىٰ (ضَمًّا)، وإنَّما يحصل ما ذُكر فِي الحديث مِنَ الجَمْعِ بجعلِ إحداهما حِذَاء الأخرىٰ.

قَالَ: (ثُمَّ نفثَ فيهما بالإخلَاصِ والمُعوِّذتينِ)؛ وَ(**النَّفثُ**): هواءٌ مع ريقٍ لطيفةٍ، فإنْ جُرِّدَ مِنَ الرِّيقِ اللَّطِيفةِ سُمِّي (نَفْخًا).

و هذَا النَّفثُ يَكونُ بعدَ قراءةِ السُّوَرِ؛ لأنَّ المَقصُودَ وُصولُ بَرَكَةِ الرِّيقِ المَمْزُوج بكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قَالَ: (ثمَّ يَمسَحُ بِهمَا مَا استطاعَ مِنْ جَسدِهِ: يَبدأُ بِهمَا عَلَىٰ رَأْسِهِ ووجهِهِ، وما أَقبلَ مِن جسدِهِ، يَفعلُ ذَلكَ ثلاثَ مرَّاتٍ)؛ أي يمسح بِهما مَا استطاعَ مِن جسده دون تكلُّفٍ، باعتبار مَا يحصل مِن وصول يديه إلىٰ مواضِعِ جَسَدِه، فيقرأُ سُورةَ «الإخلاصِ»، ثمَّ

يَنفُثُ ثلاثًا ، ثمَّ يمسح، ثمَّ يقرأُ سُورةَ «الإخلاصِ»، ثمَّ يَنفُثُ ثلاثًا، ثمَّ يَمْسح، ثمَّ يقرأُ سُورةَ «الإخلاصِ»، ثمَّ ينفث ثلاثًا، ثمَّ يَمْسَح، ثمَّ يُعيد كذلك مع «سورة الفلق» و«النَّاس».

قال: (وَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا اشتكَىٰ) - أيْ مَرِضَ - (يقرأُ علىٰ نَفْسِهِ بالمُعوِّذاتِ ويَنفُثُ، ويَمسَحُ بِيَدِهِ، وإِذَا مَرِضَ أَحدٌ مِنْ أهلهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِهَا. مُتَّفقٌ عليهِ).

فِفِي هذهِ الجُملةِ ثَلَاثُ فضائلَ لـ«سورةِ الفلقِ والنَّاسِ»:

- **فالفَضِيلةُ الأولَى:** أَنَّهُمَا أَكْمَلُ التَّعْويذَاتِ.
- **والفَضِيلةُ الثَّانيةُ:** اسْتِعمَالُهُمَا للحِفظِ عندَ النَّومِ باللَّيلِ.
- **والفَضِيلةُ الثَّالثةُ:** اسْتِعمَالُهُمَا فِي دَفعِ المَرضِ.

وهَاتَانِ السُّورَتَانِ تُسَمَّيانِ «المُعوِّذتينِ»، و«المُعوِّذاتُ».

- **فالتَّثنيةُ:** باعتبار كونهما سورتين.
- **والجَمْعُ: باعتبار أمرين:**
  - **أحدُهُمَا:** باعتبارِ الآيات، فهي جَمْعٌ.
  - **والآخَرُ:** باعتبار الشُّرُورِ التي تُعوِّذُ منها.

ثُمَّ قَالَ المُصَنِّف فِي تَفْسِيرِ«سُورةِ الفلقِ»: (أمرَ اللهُ الرَّسولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سُورةِ الإخلاصِ أنْ يقولَ مُبلِّغًا)؛ أَي فِي قَولهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [الإخلاص]، فهُوَ أمرٌ للبلاغِ، (وأمرَهُ في سُورةِ الفلقِ والنَّاسِ أنْ يقُولَ مُتَعوِّذًا، فقالَ لهُ هنَا: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أيْ ألجأُ وأعتصمُ)، فَـ(الاستِعَاذَةُ) هِيَ الالتِجاءُ والاعتصامُ.

ثُمَّ قَالَ فِي قوله تعالىٰ: (﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وهُوَ الصُّبحُ، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ اللهُ مِنَ المخلوقاتِ، وأُرِيدَ بِهِ بعضُهَا، وهوَ كُلُّ مَخلُوقٍ فيه شرٌّ)؛ إذْ لَيسَ كلُّ مَخلُوقاتِ اللهِ فيهَا

شَرٌّ؛ كالمَلَائكَةِ والجَنَّةِ، فيكونُ قولُهُ تَعالَىٰ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ مِنَ العَامِّ الَّذي أُريدَ بهِ الخُصُوصُ؛ أي: (مِن شرِّ كلِّ مخلوقٍ فيهِ شرٌّ).

(ثُمَّ ذكرَ بَعضَ أَفرادِ المَخلُوقاتِ المُشْتَملةِ عَلَىٰ شَرٍّ، فقالَ: ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ ﴾ وهُوَ اللَّيلُ إذا اسْتحْكَمَ ظَلَامُهُ؛ لِمَا فيهِ من انتِشَارِ الأرْواحِ الشِّرِّيرةِ، وَالحَيوانَاتِ المُؤذيةِ)، فَـ(الغاسقُ) هُوَ اللَّيلُ، وشَاهِدُهُ ما رواه (التِّرمذيُّ) من حديثِ (عائِشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا؛ أَنَّ النَّبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ نظرَ إلىٰ القمرِ، فقالَ: «**يَا عَائِشَةُ؛ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، فَجعلَ القَمرَ عَلَامةً لهُ)؛ أي علامةً للَّيلِ؛ لأنَّ ظهورَ القمرِ مع وجود سلطانِه لا يكونُ إلَّا فِي اللَّيلِ، فليس مرادُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ الاستعاذةَ مِن القمرِ، بلِ الاستعاذة من شَرِّ ما يكون فِي اللَّيلِ الَّذي علامتُه القمرُ.

ثمَّ قالَ فِي قولِه تعالىٰ: (﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ ﴾ وهيَ الأَنْفُسُ السَّواحرُ منَ الرِّجالِ والنِّساءِ)؛ فالتَّأنيثُ في قولِهِ: (﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ ﴾) بِاعْتِبَارِ الأنفُسِ، لَا بِاخْتِصَاصِ الآيةِ بالنِّساءِ، قالَ: (اللَّواتِي يَستعِنَّ علَىٰ سِحرِهِنَّ) - أي الأنفُسُ - (بالنَّفخِ مَعَ رِيقٍ لَطيفةٍ في العُقَدِ المَشْدُودَةِ عليهِ)؛ فالسَّواحرُ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ يَعْمَدُونَ إلىٰ جعلِ السِّحرِ عُقَدًا يُنْفَث فيها مع الاستعانة بالشَّياطين، ويُسمَّىٰ هذا: (سِحْرَ العَقْدِ)، وهو أَشَدُّ أنواعِ السِّحرِ - أعاذنا الله وإيَّاكم من ذلك.

ثمَّ قالَ: (﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وهُوَ مَن يكرهُ وُصولَ النِّعمةِ إلىٰ مَحسُودِهِ، استعاذَ منهُ إذا ثَارَ حَسَدُهُ وبَرَزَ)؛ فَقَولُهُ: (﴿إِذَا حَسَدَ ﴾)؛ أَي إذَا ظَهَرَ حَسَدُهُ وَبانَ.

و(**الحَسَدُ**) هُوَ كَرَاهيَّةُ وصولِ النِّعمةِ، وَلَوْ لَمْ يَتَمَنَّ زَوَالَهَا؛ فمُجَرَّدُ كَرَاهيَّةِ العبدِ

وصولَ نعمةٍ إلىٰ غيره يُسَمَّىٰ (حَسَدًا)؛ فإذا اقترَنَ بتمَنِّي الزَّوال صَارَ أعظمَ فِي الشَّرِّ.

قالَ: (وقدْ تَضَمَّنتْ هذهِ السُّورةُ الاسْتِعَاذةَ مِنْ أَنْواعِ الشُّرورِ عُمُومًا)؛ أي فِي قَولِهِ: ﴿ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾، قالَ: (ومِن أُصُولهَا خُصُوصًا)، وذلك فيمَا تَلَاه ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ، وهي شُرور اللَّيل والسِّحر والحسد.



قَالَ المُصَنِّفُ وَفَّقَهُ اللهُ:

تَفْسِيرُ سُورَةِ النَّاسِ

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾ ﴾ [النَّاس].

مُسْتَهَلُّ هذِهِ السُّورةِ كَسابقتِها، فإنَّ اللهَ أمَرَ رَسُولَه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَقُولَ مُتَعوِّذًا، فَقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أي ألْجَأُ وأعْتَصِمُ، ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهُوَ سَيِّدُهُمُ المَالِكُ المُصْلِحُ لهُمْ، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ومُلْكُهُ مِنْ رُبُوبيَّتِهِ لكِنْ أُفرِدَ لِجَلالَةِ مَوقِعِه، ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بحَقٍّ؛ ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيطَانُ، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فَيُحَسِّنُ لَهمُ الشَّرَّ، ويُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، ويُقبِّحُ لَهمُ الخيرَ ويُثَبِّطُهُمْ عنهُ، فَإذَا اسْتعاذَ مِنهُ العَبدُ تأخَّرَ وانْدَفعَ عنهُ، فالخَنَّاسُ هوَ المُتَأَخِّرُ المُنْدَفِعُ إذَا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ واسْتَعَاذَ بِهِ في دَفْعِهِ، ومَحَلُّ وَسْوسَتِهِ: صُدُورُ الخَلْقِ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

تمَّ بحَمْدِ اللهِ



قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ختم المُصَنِّفُ - وفَّقهُ اللهُ - هذهِ النُّبذةَ المُيَسَّرةَ بِـ(**تَفْسِيرِ سُورَةِ النَّاسِ**)، فقَالَ: (مُسْتَهَلُّ هذِهِ السُّورةِ كَسَابقتِهَا) - أي الفلقِ - (فإنَّ اللهَ أمَرَ رَسُولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يَقُولَ مُتعوِّذًا، فقَالَ لَهُ: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾؛ أي ألْجَأُ وأعْتَصِمُ)، علَىٰ ما تقدَّمَ مِن كونِ (**الاستعاذَةَ**) هيَ الالتجاءُ والاعتِصَامُ.

ثمَّ قال: (﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ وهُوَ سَيِّدُهُمُ المَالكُ المُصْلِحُ لهُمْ)، وَفْقَ مَا ذكرنَاهُ مِن مَعانِي (الرَّبِّ)، وأنَّها ترجع إلىٰ ثلاثةِ معانٍ: المالك، والسَّيِّد، والمُصْلح للشَّيءِ القائم عليه.

ثمَّ قال فِي قوله تعالىٰ: (﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ ومُلْكُهُ مِنْ رُبُوبيَّتِهِ)؛ فَقَوْلُهُ: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ يَندَرِجُ فيهِ مُلكُه، لكِنَّ المُلْكَ مِنْ أعظمِ مَشَاهدِ الرُّبُوبيَّة، فأُفْرِد عنها اعتناءً به.

وأَعْظَمُ مَشَاهدِ الرُّبوبيَّةِ المُكرَّرِ ذِكرُها فِي القُرآنِ أربعةٌ:

- **أوَّلُها**: المُلْكُ.
- **وثَانِيها**: الخَلْقُ.
- **وثالثُهَا**: الرَّزْقُ.
- **ورَابِعُهَا: تدبير الأمرِ**؛ وهُوَ تَصْريفُ شُؤونِ الخلق.

ثمَّ قال فِي قوله تعالىٰ: (﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودِهِمْ بحَقٍّ).

ثمَّ قال فِي قوله تعالىٰ: (﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾ وَهُوَ الشَّيطَانُ)؛ لأنَّ فإنَّهُ المُختَصُّ بالوَسْوسَةِ، **والمُرادُ بِهِ هُنَا**: الشَّيطانُ الجِنِّيُّ دون الشَّيطان الإِنْسيِّ؛ الشَّيطانَ

الإِنسيَّ لَا يُوسْوِسُ؛ فالوَسْوَسَةُ إلقاءٌ باطنٌ، والشَّيطانُ الإنسيُّ يكون إلقاؤه ظاهِرًا، ويُسمَّىٰ (وَشْوَشَةً).

فإلقَاءُ الشَّيَاطِينِ نَوْعَانِ:

- **أحدُهُمَا**: **إلقاءٌ باطنٌ**، وهو للشَّيطان الجِنيِّ، و يُسمَّىٰ(وَسْوَسَةً).
- **والآخَر**: **إلقاءٌ ظاهر**، وهو للشَّيطان الإنسيِّ، ويُسمَّىٰ (وَشْوَشَةً).

وكونُه وشوشةً؛ أي فِي سِرٍّ وخفاءٍ، فهذا الأصل فيما تُلقيه شياطينُ الإنسِ.

فإن قال قائلٌ: قد صِرْنا اليوم نرىٰ شياطين الإِنس يُلْقُون شُرُورَهُمْ عَلَانِيَّةً؟

فالجواب: أنَّ ما يُخْفُونَه من الشَّرِّ الَّذي يُرِيدونه أعظمُ، ولكنَّها حبائلُ الشَّيطان الَّتي يأخذ بِها الخلقَ شيئًا فشيئًا.

ثمَّ قال فِي قوله تعالىٰ: (﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ فَيُحَسِّنُ لَهمُ الشَّرَّ، ويُقَوِّي إِرَادَتَهُمْ لَهُ، ويُقبِّحُ لَهمُ الخيرَ ويُثَبِّطُهُمْ عَنهُ)؛ وهذه هي حقيقة الوسوسة، فَـ**(الوَسْوَسَةُ)**: تَحْسِينُ الشَّرِّ وتَقْوِيَةُ إِرَادتِهِ، وتَقبيحُ الخَيرِ والتَّثبيطُ عَنهُ.

وَ**(التَّثبيطُ)** هُوَ الحَبْسُ والمَنْع والتَّخذِيلُ.

قالَ: (فَإِذَا اسْتعاذَ مِنهُ العَبدُ تأخَّرَ) - أي رَجَعَ - (وانْدَفَعَ عنهُ، فالخَنَّاسُ هوَ المُتَأَخِّرُ المُنْدَفِعُ إذَا ذَكَرَ العَبْدُ ربَّهُ واسْتَعَاذَ بِهِ في دَفْعِهِ).

والجاري فِي أَلْسِنة النَّاس عند ذكر الشَّيطان اتِّقاءَ شرِّهِ ثلاثةُ أنواعٍ:

❋ **أوَّلها**: **الاستعاذة منه**؛ بأن يقولوا: (نعوذ بالله مِن الشَّيطان)؛ وهذا مُستَحَبٌّ.

❋ **وثانيها**: **لعنُه**؛ بأن يقولوا: (لعنةُ اللهِ علىٰ الشَّيطان)، أو (أضلَّنِي الشَّيطانُ لَعَنَه الله)؛ وهذا حكمُه أنَّه جائزٌ؛ لِمَا ثبَت فِي «الصَّحِيح» - واللَّفظ لمسلمٍ - أنَّ شيطانًا عَرَض

للنَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بشِهَابٍ مِن نارٍ، فأخذَه النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقال: «**أَلْعَنُكَ بِلَعْنَةِ اللهِ**»، فهذا يدلُّ علىٰ أنَّ لَعْنَ الشَّيطان جائزٌ.

* **وثالثها: ذِكْرُه بغير الاستعاذةِ واللَّعن**، مثلُ قولهم: (الله يأخذ الشَّيطان)، أو (الله يهلك الشَّيطان)، أو (الله يقلع الشَّيطان)؛ وهذا مكروهٌ؛ لِمَا ثبت مِن حديث أبي المَلِيح، عن أبيه؛ أنَّ رجلًا كان رِدْفَ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ حِمَارٍ فَعَثَر الحِمَارُ، فقال الرَّجل: تَعِسَ الشَّيطان - يعني هلك الشَّيطانُ -، فقال النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا تَقُلْ ذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّىٰ يَكُونَ كَالبَيْتِ، وَلَكِنْ قُلْ: (بِسْمِ اللهِ)، فَإِنَّهُ يَتَصَاغَرُ حَتَّىٰ يَكُونَ كَالذُّبَابِ**»، فالشَّيطان إذَا دُعِي عليه بغيرِ الاستعاذةِ واللَّعْن تَعَاظَمَ وقال: «قَد فعلتُ شيئًا»! وهو أحْقَرُ مِن ذلك، قال تعالىٰ: ﴿**إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦**﴾ [النِّساء]، فإذا دعا المرء بقوله: (الله يأخذ الشَّيطان)، (الله يُخزي الشَّيطان) تعاظم الشَّيطانُ، فلم يَحْصُلِ المَقْصُودُ مِن الدُّعاء عليه، وعظُمَ شرُّه، فإذا قال الإنسان: (أعوذ بالله مِن الشَّيطان) تصاغر الشَّيطانُ حتَّىٰ يكونَ كالذُّباب.

وانظرُوا إلىٰ كيد الشَّيطان فِي صرف النَّاس عنِ المأمور به شرعًا إلىٰ مَا يَعْظُم به شَرُّه، فإنَّ أكثر النَّاس تسمَعُهم - حتَّىٰ فِي مَزْحهم - يقولون: (الله يأخذ شيطانك)، (الله يقلع شيطانك)، فالشَّيطان يَتَعاظم بِهذا، ولا يحصل المقصود مِن الدُّعاء عليه، لكن علىٰ الإنسانِ أن يستعيذَ، فالاستعاذة هي المأمور بِها شَرعًا، واللَّعن لبيان الجواز، فالاستعاذةُ هي الحصنُ الأعظم مِن شرِّ الشَّيطان الرَّجيم.

ثَمَّ قالَ: (ومَحَلُّ وَسْوسَتِهِ: صُدُورُ الخَلْقِ ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾)، فَالشَّيطَانُ الجِنِّيُّ يُوسْوِسُ فِي صُدورِ الخَلقِ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ؛ **فاسم (النَّاس)**: يشملُ الإنسَ

والجِنَّ؛ ذكره ثعلبٌ - واسمه أحمَدُ بنُ يحيىٰ - وغيرُه؛ لأنَّهَ مِنَ (**النَّوْسِ**)، وهو الحَرَكةُ والاضْطِرابُ، وهُوَ وَصْفٌ مَوَجُودٌ في الإنسِ والجِنِّ.

فقولُه تعالىٰ: ﴿ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾؛ أي صدورِ الجنِّ والإنسِ، فيكون قوله: ﴿ وَٱلنَّاسِ ﴾ مِن عطف العامِّ علىٰ الخاصِّ، فالنَّاس إنسٌ وجنٌّ، والجِنَّةُ هي الجنُّ.

وختم المُصَنِّف كتابه بقوله: (**تمَّ بحمد اللّه**)، حمدًا لله فِي المنتهىٰ كمَا حُمدَ فِي المبتدَىٰ.

وهذا آخِرُ هذا المجلس.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبدِه ورسولِهِ مُحمَّدٍ وآله وصحبه أجمعينَ.

فَائِدَةٌ

إذا شَرَع المؤذِّن يُؤذِّن ورأىٰ أنَّ اللَّاقطَ مُغلَقٌ، وقد مضىٰ منه قولُه: (الله أكبَر الله أكبَر)، ثمَّ فتحَ اللَّاقطَ؛ فإنَّه يبني علىٰ أذانِه، فيُكمِلُ ولا يستأنِفُ مِن جديدٍ، حتَّىٰ لو لَمْ يَحصُلِ الإسماعُ.

ونظيرُ هذا عند الفقهاء قولُهم: (وإذا ابتدأ الفاتحةَ فِي صلاة جهرٍ مُسِرًّا بِها، ثمَّ ذكر: أتمَّها).

مثلًا: إذا إمامًا فِي صلاة المغرب فقرأتَ: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ [الفاتحة] سِرًّا، ثمَّ ذَكَرْتَ أنَّ الصَّلاة جهريَّةٌ، فإنَّك تُكمِلُ جهرًا من قوله تعالىٰ: ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ ﴾.

تَمَّ الشَّرْحُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
ليلةَ الثُّلاثاء التَّاسع مِن شهر ذي القَعدة [1]
سنةَ ثمانٍ وثلاثين وأربعمائةٍ وألفٍ
في جامع العَقيل بمدينة الطَّائفِ



(١) يجوز فِي (ذي القعدة) فتح القَافِ وكسرها، والأفصح: الفتحُ، ويجوز فِي (ذي الحِجَّة) كسر الحاء وفتحها، والأفصح: الكسرُ.